

عباس مراد ، الدور السياسي للجيش الاردني ١٩٢١ - ١٩٧٣
(مركز الابحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٧٣)

الاستقلال الوطني ، بغض النظر عن طبيعة هذا الاستقلال ، اضافة الى ان عملية التوسع التي مرت بها اثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها ، فسحت المجال لاطارات لا بأس بها من البورجوازية الصغيرة ومتقني المدن ان تشكل جزءا لا يستهان به من الكادرات الاساسية لهذه الجيوش . في الوقت الذي كانت مقصورة فيه هذه الكادرات على ابناء « الذوات » وابناء الاقليات خلال الثلاثينات وما قبلها . لقد نقلت هذه الاطارات معها الى داخل هذه الجيوش اهتماماتها ومواقفها السياسية من المشاكل التي تعاني منها مجتمعاتها ، مما اوجد ارضية اجتماعية لبروز حالة وطنية داخلها عبرت عن نفسها بمواكبة الحركة الوطنية في الاطوار المدني اما بالانضمام كفراد الى الاحزاب الوطنية ، او بقيام كتللات وتنظيمات عسكرية مستقلة قادت عملية التغيير في مجتمعاتها بالانقلابات العسكرية التي قامت في الخمسينات من هذا القرن في اكثر من بلد عربي . ولسنا هنا بصدد مناقشة صحة او خطأ الانقلابات العسكرية ومدى تأثيرها في الحركة الوطنية ، بل نحن بصدد مناقشة موضوع محددة وهي الحالة الوطنية العامة التي مثلتها هذه الجيوش ومحدودية او هامشية هذه الحالة في الجيش الاردني وكون هذه الحالة بفعل عوامل خارجية اكثر منها داخلية اي من داخل المجتمع الاردني . ان ذلك يعود بشكل اساسي الى التركيب الاجتماعي للجيش الاردني الذي يختلف عن التركيبة الاجتماعية للجيوش العربية ، فهذه الجيوش قبلت في صفوفها القوى الاجتماعية المختلفة من بورجوازيين صفار وفلاحين ومهنيين بكل آرائها ومفاهيمها السياسية المختلفة ، والتي هي انعكاس لما يجري داخل مجتمعاتها ، مما جعلها اكثر تجاوبا مع ما يجري في مجتمعاتها ، واكثر قدرة على تلمس

واجهت الحركة الوطنية في الاردن - منذ البداية - معضلة اساسية لم تواجهها اي من الحركات الوطنية في الاقطار العربية الاخرى ، وهي المؤسسة العسكرية الاردنية . ولقد حكمت هذه المعضلة الحركة الوطنية في الاردن ، ولا تزال تحكمها وتؤثر في قدرتها على انجاز مهامها الوطنية والديموقراطية . والغرابية لا تكن في وجود هذه المعضلة ، بل في عدم تلمس الحركة الوطنية لها مبكرا . والدليل على ذلك ان ايا من القوى الوطنية الاردنية لم تناقش هذه المعضلة ولم تطرح حلولا لجاوبتها منذ البداية . فادبيات القوى الوطنية في الاردن خلال الربع قرن الاخير - باستثناء السنوات الثلاث الاخيرة - تظل من أي دراسة او تحليل للمؤسسة العسكرية الاردنية وكيفية التعامل معها في ضوء وضعها الخاص وفي ضوء ما مثلته في تاريخ الاردن السياسي ، كما ان برامج هذه القوى - بلا استثناء - خلال الفترة نفسها تنفتر الى أي تحديد لوضع هذه المؤسسة وطبيعتها وظروف نشأتها ، وبالتالي ما هو مصيرها في حال قيام حكم وطني ديموقراطي . ان عدم تلمس الحركة الوطنية لهذه المعضلة بشكل مبكر ، اوقعها في خطأ كبير لا تزال تعاني منه ، وتدفع ثمنه فشلا وراء فشل . ان احدى الاخطاء الاساسية للحركة الوطنية في الاردن انها نظرت الى الجيش الاردني من المنظار نفسه الذي نظرت منه الحركات الوطنية العربية الى جيوش بلدانها ، غير آخذة بالاعتبار ظروف نشأة الجيش الاردني وتركيبته الطبقيّة والمهام التي انشأ من اجلها ، والتي تختلف عن ظروف نشأة الجيوش العربية وتركيبتها الطبقيّة . فجيوش البلدان العربية وخامسة تلك التي استقلت عقب الحرب العالمية الثانية نبت وتوسعت في ظل مظاهر